

سورة البقرة

(بسم الله الرحمن الرحيم)

(وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ لَا تُفْسِدُوا فِي الْأَرْضِ قَالُوا إِنَّمَا نَحْنُ مُصْلِحُونَ (11) أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ الْمُفْسِدُونَ وَلَكِنْ لَا يَشْعُرُونَ (12) وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُوا كَمَا آمَنَ النَّاسُ قَالُوا أَنُؤْمِنُ كَمَا آمَنَ السُّفَهَاءُ أَلَا إِنَّهُمْ هُمُ السُّفَهَاءُ وَلَكِنْ لَا يَعْلَمُونَ (13) وَإِذَا لَقُوا الَّذِينَ آمَنُوا قَالُوا آمَنَّا وَإِذَا خَلَوْا إِلَى شَيَاطِينِهِمْ قَالُوا إِنَّا مَعَكُمْ إِنَّمَا نَحْنُ مُسْتَهْزِئُونَ (14) اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ (15) أُولَئِكَ الَّذِينَ اشْتَرُوا الضَّلَالَةَ بِالْهَدَىٰ فَمَا رَبِحَتْ تِجَارَتُهُمْ وَمَا كَانُوا مُهْتَدِينَ (16)

شرح الكلمات:

الفساد في الأرض: الكفر وارتكاب المعاصي فيها. المراد الأرض نفسها؛ أو أهلها؛ أو كلاهما. وهو الأولى؛ أما إفساد الأرض نفسها؛ فإن المعاصي سبب للقطط، ونزع البركات، وحلول الآفات في الثمار، وغيرها الإصلاح في الأرض: يكون بالإيمان الصحيح والعمل الصالح، وترك الشرك والمعاصي.

لا يشعرون: لا يدرون ولا يعلمون. لأن الفساد أمر حسي يدرك بالشعور والإحساس؛ فلبادتهم وعدم فهمهم للأمور، لا يشعرون بأنهم هم المفسدون دون غيرهم

(كَمَا آمَنَ النَّاسُ) والمراد بـ {الناس} هنا الصحابة الذين كانوا في المدينة، وإمامهم النبي صلى الله عليه وسلم

السُّفَهَاءُ: جمع سفية: خفيف العقل لا يحسن التصرف والتدبير.

لَقُّوا: اللقاء؛ والملاقاة؛ المواجاة وجهاً لوجه.آمَنُوا: الإيمان الشرعي: التصديق بالله وبكل ما جاء به رسول الله عن الله، وأهله هم المؤمنون بحق. {خَلَوْا}: الخلو بالشيء: الانفراد به.شَيَاطِينِهِمْ: الشيطان كل بعيد عن الخير قريب من الشر يفسد ولا يصلح من إنسان أو جان، والمراد بهم هنا رؤسائهم في الشر والفساد.مُسْتَهْزِئُونَ: الاستهزاء: الاستخفاف والاستسخر بالمرء.

الطغيان: مجاوزة الحد في الأمر والإسراف فيه.

العَمَهُ: للقلب؛ كالعَمى للبصر: عدم الرؤية وما ينتج عنه من الحيرة والضلال

{ اللَّهُ يَسْتَهْزِئُ بِهِمْ وَيَمُدُّهُمْ فِي طُغْيَانِهِمْ يَعْمَهُونَ } وهذا جزاء لهم، على استهزائهم بعباده، فمن استهزأه بهم أن زين لهم ما كانوا فيه من الشقاء والحالة الخبيثة، حتى ظنوا أنهم مع المؤمنين، لما لم يسلط الله المؤمنين عليهم، ومن استهزأه بهم يوم القيامة، أنه يعطيهم مع المؤمنين نورا ظاهرا، فإذا مشى المؤمنون بنورهم، طفق نور المنافقين، وبقوا في الظلمة بعد النور متحيرين، فما أعظم البأس بعد الطمع

{اشْتَرَوْا}: استبدلوا بالهدى الضلالة، أي: تركوا الإيمان وأخذوا الكفر. أي: رغبوا في الضلالة، رغبة المشترى بالسلمة، التي من رغبته فيها يذل فيها الأثمان النفيسة. وهذا من أحسن الأمثلة، فإنه جعل الضلالة، التي هي غاية الشر، كالسلمة، وجعل الهدى الذي هو غاية الصلاح بمنزلة الثمن، فبدلوا الهدى رغبة عنه بالضلالة رغبة فيها، فهذه تجارتهم، فبئس التجارة، وبئس الصفقة صفقتهم {تِجَارَتُهُمْ}: التجارة: دفع رأس مال لشراء ما يربح إذا باعه، والمنافقون هنا دفعوا رأس مالهم وهو الإيمان لشراء الكفر آملين أن يربحوا عزاً وغنى في الدنيا فخرسوا ولم يربحوا إذ ذلوا وغُذِبوا وافتقروا بكفرهم.

المهتدي: السالك سبيلاً قاصدة تصل به إلى ما يريد في أقرب وقت وبلا عناء، والضال خلاف المهتدي: وهو السالك سبيلاً غير قاصدة فلا تصل به إلى مراده حتى يهلك قبل الوصول.

معنى الآيات: يخبر تعالى عن المنافقين أنهم إذا قال لهم أحد المؤمنين لا تفسدوا في الأرض بالنفاق وموالاتة اليهود والكافرين ردوا عليه قائلين: إنما نحن مصلحون في زعمهم، فأبطل الله تعالى هذا الزعم وقرر أنهم هم وحدهم المفسدون لا من عرضوا بهم من المؤمنين، إلا أنهم لا يعلمون ذلك لاستيلاء الكفر على قلوبهم. كما أخبر تعالى عنهم بأنهم إذا قال لهم أحد المؤمنين صدقوا في إيمانكم وآمنوا إيمان فلان وفلان مثل: عبد الله بن سلام. ردوا قائلين: أنؤمن إيمان السفهاء الذين لا رشد لهم ولا بصيرة فرد الله تعالى عليهم دعواهم وأثبت السفه لهم ونفاه عن المؤمنين الصادقين ووصفهم بالجهل وعدم العلم ما زالت الآيات تحبب عن المنافقين وتصف أحوالهم إذ أخبر تعالى عنهم في الآية الأولى (14) أنهم لنفاقهم وخبيثهم إذا لقوا الذين آمنوا في مكان ما أخبروهم بأنهم مؤمنون بالله والرسول وما جاء به من الدين، وإذا انفردوا برؤسائهم في الفتنة والضلالة فلاموهم عما ادَّعوه من الإيمان، قالوا لهم: إنا معكم على دينكم وما آمننا أبداً. وإنما أظهرنا الإيمان استهزاء وسخرية بمحمد وأصحابه..:

كما أخبر في الآية (15) أنه تعالى يستهزئ بهم معاملة لهم بالمثل جزاء وفاقاً ويزيدهم حسب سنته في أن السيئة تلد سيئة في طغيانهم لتزداد حيرتهم واضطراب نفوسهم وضلال عقولهم. كما أخبر في الآية (16) أن أولئك البعداء في الضلال قد استبدلوا الإيمان بالكفر والإخلاص بالنفاق، فلذلك لا تربح تجارتهم ولا يهتدون إلى سبيل ربح أو نجح محال.

الفوائد:

1. أن النفاق الذي هو إظهار الإسلام، وإبطان الكفر من الفساد في الأرض؛ لقوله تعالى: { وإذا قيل لهم لا تفسدوا في الأرض؛ والنفاق من أعظم الفساد في الأرض..
2. ومنها: أن من أعظم البلوى أن يُزَيَّن للإنسان الفساد حتى يرى أنه مصلح؛ لقولهم: (إنما نحن مصلحون)
3. ومنها: أن غير المؤمن نظره قاصر، حيث يرى الإصلاح في الأمر المعيشي فقط؛ بل الإصلاح حقيقة أن يسير على شريعة الله واضحاً صريحاً..
4. ومنها: أنه ليس كل من ادعى شيئاً يصدق في دعواه؛ لأنهم قالوا: { إنما نحن مصلحون }؛ فقال الله تعالى: { ألا إنهم هم المفسدون }؛ وليس كل ما زينته النفس يكون حسناً، كما قال تعالى: { أفمن زين له سوء عمله فرآه حسناً فإن الله يضل من يشاء ويهدي من يشاء } [فاطر: 8] ..
5. ومنها: أن الإنسان قد يبتلى بالفساد في الأرض، ويخفى عليه فساده؛ لقوله تعالى: { ولكن لا يشعرون
- 6- أن المنافق لا تنفعه الدعوة إلى الخير؛ لقوله تعالى: { وإذا قيل لهم آمنوا كما آمن الناس قالوا أنؤمن كما آمن السفهاء }؛ فهم لا ينتفعون إذا دعوا إلى الحق؛ بل يقولون: { أنؤمن كما آمن السفهاء
- 7- ومنها: إعجاب المنافقين بأنفسهم؛ لقولهم: (أنؤمن كما آمن السفهاء)
- 8- شدة طغيان المنافقين؛ لأنهم أنكروا على الذين عرضوا عليهم الإيمان: { قالوا أنؤمن }؛ وهذا غاية ما يكون من الطغيان؛ ولهذا قال الله تعالى في آخر الآية: { في طغيانهم يعمهون } [البقرة: 15]

9- ومنها: أن أعداء الله يصفون أوليائه بما يوجب التنفير عنهم لقولهم: { أنؤمن كما آمن السفهاء }؛ فأعداء الله في كل زمان، وفي كل مكان يصفون أوليائه الله بما يوجب التنفير عنهم؛ فالرسل وصفهم قومهم بالجنون، والسحر، والكهانة، والشعر تنفيراً عنهم، كما قال تعالى: { كذلك ما أتى الذين من قبلهم من رسول إلا قالوا ساحر أو مجنون }
10-- فهما بلغوا من الأساليب فإن الله تعالى إذا أراد هداية أحد فلا يمنعه إضلال هؤلاء؛ لأن أعداء الأنبياء يسلكون في إبطال دعوة الأنبياء مسلكين؛ مسلك الإضلال، والدعاية الباطلة في كل زمان، ومكان؛ ثم مسلك السلاح . أي المجاهمة المسلحة؛ ولهذا قال تعالى: { هادياً } [الفرقان: 31] في مقابل المسلك الأول الذي هو الإضلال . وهو الذي نسميه الآن بالأفكار المحرفة، وتضليل الأمة، والتلبيس على عقول أبنائها؛ وقال تعالى: { ونصيراً } [الفرقان: 31] في مقابل المسلك الثاني . وهو المجاهمة المسلحة..
11- أن كل من لم يؤمن فهو سفيه، كما قال الله تعالى: { ومن يرغب عن ملة إبراهيم إلا من سفه نفسه } [البقرة: 130] ..
12- أن الحكمة كل الحكمة إنما هي الإيمان بالله، واتباع شريعته؛ لأن الكافر المخالف للشريعة لسفيه؛ فيقتضي أن ضده يكون حكيماً رشيداً
13- ومنها: تحقيق ما وعد الله به من الدفاع عن المؤمنين، كما قال تعالى: { إن الله يدافع عن الذين آمنوا } [الحج: 38] ؛ فإذا ذموا بالقول دافع الله عنهم بالقول؛ فهؤلاء قالوا: { أنؤمن كما آمن السفهاء }، والله عز وجل هو الذي جادل عن المؤمنين، فقال: { ألا إنهم هم السفهاء } يعني هم السفهاء لا أنتم؛ فهذا من تحقيق دفاع الله تعالى عن المؤمنين؛ أما دفاعه عن المؤمنين إذا اعتدي عليهم بالفعل فاستمع إلى قول الله تعالى: { إذ يوحى ربك إلى الملائكة أني معكم فتيقوا الذين آمنوا سألتني في قلوب الذين كفروا الرعب فاضربوا فوق الأعناق واضربوا منهم كل بنان } [الأنفال: 12] : هذه مدافعة فعلية، حيث تنزل جنود الله تعالى من السماء لتقتل أعداء المؤمنين؛ فهذا تحقيق لقول الله تعالى: { إن الله يدافع عن الذين آمنوا } [الحج: 38] ؛ ولكن الحقيقة أن هذا الوعد العظيم من القادر جل

وعلا الصادق في وعده يحتاج إلى إيمان حتى تؤمن بالله عز وجل، ولا تخشى أحداً سواه، فإذا ضعف الإيمان أصبحنا نخشى الناس كخشية الله، أو أشد خشية؛ لأننا إذا كنا نراعيهم دون أوامر الله فسنخشاهم أشد من خشية الله عز وجل؛ وإلا لكانا ننفذ أمر الله عز وجل، ولا نخشى إلا الله سبحانه وتعالى
14- الدلالة على جهل المنافقين؛ لأن الله عز وجل نفى العلم عنهم؛ لقوله تعالى: { ولكن لا يعلمون }.

15- دلّ المنافق؛ فالمنافق ذليل؛ لأنه خائن.

16- الاستهزاء هنا في الآية على حقيقته؛ لأن استهزاء الله بمؤلاء المستهزئين دال على كماله، وقوته، وعدم عجزه عن مقابلتهم؛ فهو صفة كمال هنا في مقابل المستهزئين مثل قوله تعالى: { إنهم يكيدون كيداً * وأكد كيداً } [الطارق: 15، 16] أي أعظم منه كيداً.

17- ومن فوائد الآيتين: أن الله سبحانه وتعالى قد يُبلي للظالم حتى يستمر في طغيانه

18- بيان سفه هؤلاء المنافقين، حيث اشتروا الضلالة بالهدى

19- شغف المنافقين بالضلال؛ لأنه تبارك وتعالى عبر عن سلوكهم الضلال بأنهم اشتروه؛ والمشتري مشغوف بالسلعة محب لها

20- ومنها: أن الإنسان قد يظن أنه أحسن عملاً وهو قد أساء؛ لأن هؤلاء اشتروا الضلالة بالهدى ظناً منهم أنهم على صواب، وأنهم راجحون، فقال الله تعالى: { فما ربحت تجارتهم }
21- ومنها: خسران المنافقين فيما يطمعون فيه بالريح؛ لقوله تعالى: (فما ربحت تجارتهم)

22- أن المدار في الريح، والخسران على اتباع الهدى؛ فمن اتبعه فهو الريح؛ ومن خالفه فهو الخاسر؛ ويدل لذلك قوله تعالى: { والعصر * إن الإنسان لفي خسر * إلا الذين آمنوا وعملوا الصالحات وتواصوا بالحق وتواصوا بالصبر }
23- أن هؤلاء لن يهتدوا؛ لقوله تعالى: { وما كانوا مهتدين }؛ لأنهم يحسبون أنهم يحسنون صنعا؛ ولذلك لا يرجعون؛ وهكذا كل فاسق، أو متدع يظن أنه على حق فإنه لن يرجع؛ فالجاهل البسيط خير من هذا؛ لأن هذا جاهل مركب يظن أنه على صواب . وليس على صواب .

والله اعلم وصلى الله على محمد وعلى نله وصحبه وسلم .

تفسير سورة البقرة

من الآية رقم (11) إلى الآية رقم (16)

سلسلة تفسير القرآن العظيم الإصدار رقم (4)



فوائدها من تفسير السورة

البقرة

تهدى ولا تباع

ولا تنسوننا من صالح دعائكم

اعدتها أبو احمد العراقي